ـ فالكونية هي تجربة شعب في شكلها الشعري ، تجربة الشعب وهو ينقش « ذكرياته فوق زيتونة في ساحة الدار » ، « ينتظر عودة الغياب » ، ينتظر الشمس تحت سوط الجلاد . **ليست الكونية الا البلورة والتكثيف لتجربة محلية : المكانية والزمانية المقدمة في شكل ابداع فني .**

الكونية الاخرى ظاهرية ، ايدولوجية ، موقف انفعالي ازاء حدث (ما) ايجابي في دلالته لكنه لا يعبر عن قضية الشاعر المباشرة (قضية شعبه) . فان سقط شكلها الفني كانت قصيدة/مناسبة ، عارضة ، وان كان هناك تطابقا بين شكلها ومضمونها ، دخلت في ميدان الانتاج الفني العام ، ابداع لا يستلزم الكونية الا اذا تلاحم المحلي بالكوني بشكل عضوي .

لقد كتب توفيق قصائد عدة عن حركات التحرر ، والانتفاضات السياسية ، وعن مناضلين من اجل التقدم . كتب عن لينين وناظم حكمت ، وعن العراق وموسكو وكوبا والسودان والجزائر . لكن هذه القصائد لا تشكل كونية شعره ، فهناك فرق بين الكونية والاممية ، ليست قصائده المشار اليها الا موقفا امميا ، موقف ذو غطاء شعري . تتحدد الكونية فنيا ، بتلاحم الفني والمعاش المحلي ، في حين تتحدد الاممية ايدولوجيا وسياسيا . ان اممية توفيق ليست امرا عارضا ، فهي تتسرب بنقطة انطلاقها الايدولوجية الى جملة شعره ، لكن كونية شعره لا تنبع بالتأكيد من اميته .

حول مفهوم العمل الشعري : قد يقول البعض اننا قد قدمنا قراءة خاصة لشعر توفيق زياد ، قراءة سياسية ـ ايدولوجية لا قراءة شعرية ، بدلا من الانطلاق من الشعر كابداع محض ، ولكن ما هو هذا الابداع المحض ؟

يقول هيجل « الشعر ابداع حر لا يمكن تقييده من الخارج ، وينبغي على الشاعر ان يتجاوز سجل الاهتمامات العملية وما شابهها ، وان يتأمل العالم الداخلي والخارجي بعين هادئة حرة ، ويترك جانبا كل ما هو غريب عن عاطفته ورغبته ، ..... ، ويمكن ان نقول بشكل عام ان صفة الفكر الشعري تكمن بشكل جوهري في مجازيته» (٢٩) واذا كان هيجل يركز على مجازية العمل الشعري من حيث هو تفكير في صور فانه يفعل ذلك في اطار فلسفته المثالية ، فالجمالي هو نتاج الوعي ومرحلة عابرة في طريق الروح الباحثة عن نفسها . ان الشعر عنده ليس الا ابداعيا صوفيا ، لحظة في تحقق الفكرة الباحثة عن نفسها ، اي نشاطا زماني ولا مكاني معلق في سديم مسار الفكرة المطلقة يضع التاريخ المادي بين قوسين . ان مثل هذا الشعر في شكله المطلق يستند الى امرين:

١ ـ مقولة جوهر الانسان والتي تقول ان هناك انسانا بشكل عام دون اي تحدد تاريخي او اجتماعي ، انسان كهف افلاطون الذي لا يرى الشمس الحقيقية بل يرى فقط شمسه الصوفية الخاصة .

٢ ـ التاريخ مسار روحي بعيد عن المادة والمجتمع وحركته وتناقضاته ، اطار صوفي لتحقق الروح او الفكرة ، اي بعيد عن التاريخ الحقيقي كهجومه وصراعاته المادية التي تحكم فعلا وموضوعيا وضعنا في التاريخ .

ان مثل هذا الشعر لا وجود له الا في « الفكرة » ، او في ضمير شاعر يجتر مملكة افكاره وعزلته ، فليس هناك انسانا بالمطلق بل نحن دائما امام انسان محدد تاريخيا واجتماعيا، انسان يصارع ويصارع بالضرورة ضد اخر ، ويتم هذا الصراع في التاريخ ، في فترة لها صفات ومزايا معينة ذات وعي اجتماعي ينبت من تربتها التاريخية ، وبالتالي فان العمل الشعري بكل تنوعه وخصائصه وتطور اشكاله يتجه بالضرورة الى انسان له تاريخ ، لا الى انسان (ما) في تاريخ (ما) . والشعر كموضوع له ذات اي قارىء